

باطل مشرق

للاستاذ محمود محمد شاكر

من حب المعرفة ، أقوى من حب المال . فإذا ظفر بالبقاء على أمة الأرض ، فلما يزال بشيء غير هذا البقاء . ولكن الحياة الإنسانية مجتمة لا تستقيم بحب البقاء وحده . فالاجتماع الذي يضم هؤلاء الأحياء المتشبهين بالبقاء ، يحدث لهم ضروريا جديدة من الأمان والآمال والمطامح ، تغلب هذا الحب الحق للبقاء ، المجرى في الفرد ، وتنتشى . فيهم حبا لبقاء آخر : هو بقاء حياة الجماعة ، من حياة أنشأها الإلف والتعود ، وحياة تنشأ الأمان في حياة أتم وأكمل وأجود . والزراع بين حياة الإلف والتعود ، وحياة الأمان في الكمال والمجد ، زراع عنيف ، وهو على عنفه أمر غامض في نفوس عامة أفراد المجتمع ، لأنه يقوم على أمان مبهمة دائما في أول أمرها . ولا تستبين هذه الأمان إلا في فئة قليلة ، تملك من القدرة على النظر ، وعلى التأمل ، وعلى البيان عن نظرها وتأملها ، قسطا يتيح لها أن تحاول التعبير عن هذه الأمان ، تعبيرا يخرجها من حيز الأمر المهم إلى حيز الأمر البين .

فن هذا المدخل يدخل على الجماهير أحد رجلين : إما رجل عاقل صادق يحسن النظر والتأمل والبيان ، وإما رجل دكي قادر يموه عليهم بالنظر والتأمل والبيان . أحدهما عارف بصدق الناس ولا يزال ، والآخر دجال يلعب بالناس ولا يزال . أحدهما لا يأخذهم إلا بالوسائل التي تقوم على الصدق والعدل والحق ، والآخر يأخذهم بكل وسيلة لا يعبأ بصدق ولا عدل ولا حق . أحدهما يعلم الناس معنى هذه الأمان المهمة في أنفسهم ، كما ينبغي لسكل تعلم ، من جهد ومشقة وحذر وبصر . والآخر يعلمهم معنى هذه الأمان المهمة في أنفسهم ، بما يستثيره فيهم ، وما يستغله من زرعهم وتلفهم ، لا يأبه لشيء . إلا لما يستخفهم إلى اتباعه وطاعته وتعجيده .

فالحرية مثلا شوق تهوى إليه نفوس المستعبدين . كلمة مبهمة تعيش في سر نفوسهم كالقبس المكشوف ، لو كشف غطاؤه لأضاء . فالرجل الصادق يعلم النفوس معنى

لم أكد أنفرغ لنفسي ، وأنفض عن فكري مشاكل المهم القادح الذي أتحمله إذا كتبت في شأن هذه الأمم المسالمة — حتى دخلت على في خلوتي أيام وليال ، تعلمني أن الباطل المشرق ، صنو الباطل المظلم البهيم . بل إن الباطل المشرق أضرى وأتاك بالبشر من صنوه وأخيه المظلم . للباطل المظلم ردة ، كردة الوجه القبيح ، يزوى لها الناظر ما بين عينيه ، ويرد بصره معرضا عما يرى فيه من قبح . أما الباطل المشرق الضي ، فله فتنة تنادى ، كفتنة وجه الحسناء الخبيثة الثبت ، تأخذ بعين الناظر ، فيقبل عليها ملقيا بذنسه في مهالك هذا الجبال الآسر ، وإذا الثبت الخبيث ذرة مستهلكة في هذا التيار التفرق من فتن الحسن والهوى .

وهذه الرقعة المتراجبة من حدود الصين إلى الغرب الأقصى — والتي تسكنها أمم ورثت اسم الإسلام ، فنسبت إليه ، وصفت به — تعيش اليوم في ريق متلائي من هذا الباطل المشرق . فذئد أكثر من مئتي سنة ، ضربها النازي العليبي المستمر ضربة رابية ، حتى خرت عاجزة ، ثم ظل يضربها حتى همدت أو كادت . وفي خلال ذلك كان النازي يستجيبها بحياة غريبة عنها حتى يأتي يوم تتبدل فيه من حياة كانت إلى حياة سوف تكون . وكذلك بقضى قضاء ساحقا على أسباب الحياة الأولى ، الحياة التي كانت تعرف بالحياة الإسلامية .

ثم جاء اليوم الذي ظن فيه هذا العالم أنه ارتد إلى الحياة مرة أخرى . ونم ، إنه ارتد إلى حياة مرة أخرى ، ولكن أي حياة ! ما على الآلاف المؤلفة التي تدب في أرجاء هذا العالم من مثل هذا السؤال ؟

إن حب البقاء في الحى الفرد ، أقوى من العقل ، أقوى

إلى معان من أهواء النفوس التي لا تعرف الحق إلا في إطار من ضلالاتها وأوهامها. ثم يقيمهم التابعون الجاهلون اتباعاً، هو سمع وطاعة، ولكن لنير الله ورسوله، بل للزور المدلس على كتاب الله وسنة رسوله. وإذا هؤلاء التابعون يمدون هذه الضلالة ديناً، ويظنون هذا الدين الجديد إحياء للإسلام. وإذا هم يأخذون دينهم من حيث نهوا أن يأخذوا. يأخذونه عن مبتدع في الدين برأيه، يحيل لنصوصه بفساد نشأته، مبدل لكلماته بهوى في نفسه، محرف للكلم عن مواضعه بما يشتهى وما يحب، مختلس لمواطفات الناس بمافيته من حب اتباعهم له، خادع لمقولهم برفعة الإسلام ومجد الإسلام، وهو لا يعني الرفعة والمجد إلا لنفسه.

ولقد أنبأنا معاذ بن جبل رضى الله عنه بصفة مانحن فيه إذ قال يومئذ لأصحابه: «إن من ورائكم فتناً يكثُر فيها المال، ويفتح فيها القرآن، حتى يأخذهُ المؤمن والنافق، والمرأة، والصغير والكبير، والعبد والحر، فيوشك قاتل أن يقول: ما للناس لا يقيموني وقد قرأت القرآن؟ ما هم بمتبعي حتى أبتدع لهم غيره. فأيّاكم وما ابتدع، فإن ما ابتدع ضلالة. وأخذكم زينة الحكيم، فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلال على لسان الحكيم. وقد يقول النافق كلمة الحق. قال له يزيد بن عميرة أحد أصحابه: ما يدريني رحك الله أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة، وأن النافق قد يقول كلمة الحق؟ قال معاذ: بلى! اجتنب من كلام الحكيم الشبهات التي يقال لها: ما هذه؟ ولا يثنيك ذلك عنه، فإنه لصله راجع. وتلق الحق إذا سمعته، فإن على الحق نورا»

وقد فتح القرآن، فأخذته الألسنة كلها من مؤمن ومنافق، ومن صغير وكبير، وكل يقول برأيه لا يخشى ولا يرهب ولا يتقى. وظهر في كل أرض من يقول لنفسه: ما للناس لا يقيموني وقد قرأت القرآن؟ ثم يعود من نحسه وشؤمه، يجمع كل خبيسة من البدع التي تميل إليها نفوس الجاهلين النافلين، وتهوى إليها أشدة الذاهلين

الحرية، ويكسبها من وسائل تعلمها ما لا بد لها منه من صدق وعزيمة وجد ومشقة وبصر، حتى تهوى الجدران التي تحول بينها وبين الإنطلاق، وتنفض الأغلال الثقيلة النليظة التي تموق الحى عن إدراك حقيقته. أما الدجال، فهو لا يزال يصرخ فيهم باسم الحرية، ثم لا يمنع الناس من وسائلها إلا كل وسيلة لا تغنى شيئاً في كفاح الجدران والأغلال، بل ربما زادت الجدران صفاقة وقوة، والأغلال ثقلاً وغلظاً وفداحة. فهذا هو الباطل المشرق، لأنه يأتي الناس من حيث تهوى أنفسهم معنى مبهما غامضاً كرمما، فيعموه هذا المعنى بما شاء من تمويه، ليسير الناس وراءه كما هم عبياسما، لا ليعلم الناس حقاً يطلبونه ويعرصون عليه ويزدادون معه على الأيام بصراً وإدراكاً.

وهذا العالم الإسلامى الذى يمجج اليوم موجه، ينبج في نواحيه هذا الباطل الشرق. ينبج في السياسة، وفي العلم، وفي الأدب، وفي الفن، وفي الأخلاق، وفي جراح ذلك كله: في الدين. هو عالم مستغل، يستخفه الدعاة والدجاجلة، يهتبلون غفلته في هذه الحياة التي ظن أنه ارتد إليها بعد همود، ويختلمون نفضة هذا الشوق المضطرم إلى أمان مبهم غامضة. ويتولى قيادته في كل شأنه ألسنة لا تبالي، تستفزه إلى الدامرة في سبيل الحياة الماجدة الطيبة التي تجبش فيه. تستفزه بالنداء الصارخ باسم هذه المعاني المبهمة في ضميره، وتمطيه وسائل وأساليب يظنها معينة له على إدراك ما يشاق إليه، وهى في الحقيقة مفضية به إلى التمرغ في حمة الجهالة والعبودية والفرور الكاذب، إلى أن يقضى الله في الناس بأمره وقضائه.

وأخطر هذه الألسنة التي تستفز هذا العالم، هى الألسنة التي اتخذت كلمة الإسلام لندراً على عذباتها — لا لأنها أعظم شأنًا وأعز سلطاناً من الألسنة الأخرى، ألسنة الموهين باسم الحرية، واسم العلم، واسم الفن، واسم الأخلاق، بل لأنها تعتمد على كتاب أنزل الله بلاغا للناس، وحكمة أوحيت إلى رسوله لتكون نبراساً للمهتدين، فتحيلهما

الأخلاق . فطريقتهما في الحقيقة واحد ، ومنشؤها واحد ، ونتائجهما واحدة ، في التفرير بالناس ، والعبث بعقولهم ، والإفساد لفطرتهم ، والالتم بمواظفتهم ، وإيهامهم أن نجاحهم من عبودية الغزاة أمر قريب لا يكافهم إلا أن يسمعوهم أن يقول لهم : كونوا أحرارا ، فإذا هم سادة أحرار كما ولدتهم أمهاتهم !

اللهم إني أبرأ إليك مما نحن فيه . اللهم إني أخوف الناس مما خوفهم منه عبدك ورسولك إذ يقول : « أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان » . اللهم إني أقول كما قال صاحب رسولك معاذ بن جبل : « الله حكم قسط ، هلك المرتابون ! »

محمود محمد شاكر

دفاع عن البلاغة

للأستاذ أحمد حسن الزيات

كتاب يعرض قضية البلاغة العربية جل معرض ويدافع عنها أبلغ دفاع فيذكر أسباب التنكر للبلاغة ، والملاقة بين الطبع والصنعة ، وحد البلاغة ، وآلة البلاغة ... الخ

من فصوله المبكرة : الذوق ، والأسلوب ، والمذهب الكتابي المعاصر وزعماءه وأتباعه ، ودعاة العامية ، ودعاة الرمية ، وموقف البلاغة من هؤلاء وأولئك ... الخ

يقع في ١٩٤ صفحة وثمته خمسة عشر قرشا

عدا أجرة البريد

المفتونين بالحلب لكل جديد مبتدع . وهو في كل ذلك يعلم أن المبتدع في كل شيء له لذة الجدة ، ويعلم أن الناس يشاقون إلى أمر مبهم في نفوسهم ، هو استعادة مجد دينهم ، ونشر كلمته في الأرض ، فلا يبالي أن يشرع لهم من الدين ما لم يأذن به الله ، فيؤتيهم ما يطابق ما يراه من أشواقهم ، ويزين لهم أن بلاغ ما يشاقون إليه قريب ، وإذا هم اتبعوه إلى النجاة . وأن شرط بلاغه أن يعطوه السمع والطاعة له ولمن يصطفيهم من شيعته ودعائه . فإذا تم أن يجتمع عليه طائفة من الناس ، وظهر بهم أمره ، وظنوا أنهم بلغوا بعض ما مناهم لسانه ولسان شيعته ودعائه ، قالوا إن الإسلام هو هذا الذي ندعو إليه ، وإن طريق الحق طريقنا وحده . وإن الإسلام في غير الإطار الجديد الذي وضعناه فيه ليس من الحق في شيء ، وإن هذا الفهم الجديد للإسلام هو خلاص المسلمين من هذه الذلة التي ضربها عليهم النازي الصليبي . ثم تنشق ردة هذا الخيال ، عن صنوف مختلفة من الفساد المهلك ، تجعل تاريخ الماضي كله ضرباً من الحياة الفاسدة ، لا ينبغي لأحد من الناس أن يتلفت إليه إلا تلفت الزدري المستنكف . وعندئذ يصيح الدين في أذهان الجماهير المتبعة ، رسالة جديدة لها رسولها وحواريوها ودعائها وشهادتها . وإلى بيان هذه الرسالة تعود الجماهير ، لا إلى كتاب الله ولا إلى سنة رسوله ، نعم ، بل إلى تفسير هذا الكتاب وهذه السنة كما يراها لهم طواغيتهم من كهوف التبديل والتحريف والتأويل بالهوى والضلالة . وعندئذ يتم تبديل معنى الإسلام في الناس ، ويتم للدجال أن يتدعج بهواه إلى طب في أهوائهم كتاباً غير كتاب الله . ولولا أن الله قد ضمن لنا حفظ نص كتابه ، وحفظ نص البيان عنه في سنة رسوله لفعل هذا وأشياعه ما فعل أسلافهم ممن بدلوا كتب الله وحرفوها ، وعوها منها وأنتوها ، ونقصوا فيها وزادوا .

لولا هذا الذي نخافه ، بل هذا الذي كان مما نخافه ، لما أعددت هؤلاء أشد خطراً من الألسنة التي تمحوا على الجماهير الجاهلة الخافلة باسم الحرية ، واسم العلم ، واسم الفن ، واسم